المحاضرة الثالثة

الرواد والتجربة الشعرية الجديدة -1-

توطئة: إنه لمن الصعب تحديد بداية الشعر الحر، فقد حير الكثير من الباحثين والمهتمين في هذا الحقل إلى حدّ، أنه خلق صراعًا شديدا بين شعراء تلك الفترة. فبينما يرى البعض أن ريادة الشعر العربي الحر تعود لبدر شاكر السياب سنة 1946، يرى طرف آخر أن نازك الملائكة* هي التي لها أحقية الريادة، وحينها احتدم الصراع.

نازك الملائكة وبداية الشعر المعاصر:

تجزم هذه الشاعرة العراقية، أنه لا يوجد شعر حر قد نظم في العالم العربي قبل سنة 1947 أي قبل نظمها لقصيدة الكوليرا، غير أنها فوجئت بظهور عدد من القصائد في المجلات الأدبية منذ سنة 1932 وقد بررت هذا الجهل بعدم قراءة هذه القصائد من مصادرها، لذلك طرحت سؤالا في كتابها "قضايا الشعر الحديث"، أين بدأت حركة الشعر الحر هل في العراق أم في مصر؟

ولكي تجيب على هذا السؤال فقد وضعت أربعة شروط، نرى أنها يجب أن تتوفر في القصيدة كي نقول أنها تمثل بداية الشعر الحر وهي:

1- أن يكون الناظم للقصيدة واعيًا إلى أنه استحدث قصيدة أسلوبا ووزنا جديدين.

2- أن يقدم الشاعر قصيدته تلك أو قصائده مصحوبة بدعوة إلى الشعراء يدعوهم فيها إلى استعمال هذا اللون في جرأة وثقة، شارحا الأساس العروضي لما يدعوا له.

3- أن تثير دعوته صدى لدى النقاد والقراء.

4- أن يستجيب الشعراء للدعوة ويبدأوا فورا باستعمال هذا اللون الجديد.

لتؤكد أن القصائد الحرة التي قيلت قبل عام 1947 لم تحقق أيّ

* ولدت في بغداد عام 1923 نشأت في بيت علم وأدب تخرجت عام 1944 من دار المعلمين العالية، ثم توجهت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرست الأنجليزية حتى عام 1950 عملت أستاذة مساعدة في كلية التربية بالبصرة. تجيد عدة اللغات من مؤلفاتها:
عاشقة الليل 1947 / شظايا ورماد عام 1949 / عذراء الثوج 1957 / شجرة القمر 1968 / مأساة الحياة وأغنية للإنسان 1977 / للصلاة والثورة 1978 / الصومعة والشرفة الحمراء / قضايا الشعر المعاصر / سيكولوجية الشعر / توفيت بالقاهرة عام 2007

تشكل من هذه الشروط، لأنها عبارة عن إرهاصات غير واعية كما أن العصر لم يكن مهيئا لمثل هذا النوع، إلى أن جاءت سنة 1949 وظهر ديوان « شظايا ورماد » وفيه دعوة صريحة من الشاعرة إلى ضرورة اقتفاء آثارها في نظم الشعر.

وفي سياق حديثها عن الإرهاصات الأولى للشعر العربي المعاصر، تؤكد مرة أخرى أنها لم تقرأ للسياب شيئا، ولم تطلع على قصيدة "هل كان حبا" ، وأن كل ما في الأمر أنها اطلعت على الشعر الإنجليزي وتأثرت به، وتضيف قائلة: « المهم أن قصيدتي نشرت قبل قصيدته ولم تكن ليدر شاكر السياب - رحمه الله - وإذا ذاك أية معرفة فلا هو اطلع على قصيدتي عندما نظم قصيدته ولا أنا قرأت قصيدته عندما نظمت قصيدتي، وإن كلانا مبتدأ على انفراد »①

ونظرا إلى أهمية هذا النموذج نذكر منه هذا المقطع من القصيدة التي كانت تعنيها نازك الملائكة الكوليرا:

- طلع الفجر
- أصغ إلى وقع خطى الماشين
- في صمت الفجر أصغ، أنظر ركب الباكين
- عشرة أموات عشرونا
- لا تحص أصغ للباكينا
- أسمع صوت الطفل المسكين
- موتى، موتى ضاع العدد
- موتى، موتى لم يبق غد

ملاحظة: لقد أطلقت نازك الملائكة تسمية الشعر الحر على هذا النوع الجديد من الشعر، رغم أن الكثير من النقاد اختلفوا معها ومن أجل الاستزادة أكثر طالع عزيزي الطالب كتاب شاعرية القصيدة والقارئ المختلف لعبد الله العشي.

① - مجلة الآداب البيروتية ع 8 أب 1971 ص 28.

المحاضرة الرابعة

الرواد والتجربة الشعرية - 2 -

تمهيد : لقد رأينا في المحاضرة السابقة كيف تحمّست نازك الملائكة لريادة الحركة الشعرية الجديدة. ورأينا أيضا الجهود العلمية التي كرّستها في سبيل فرض شخصيتها، التي أرست أسس الشعر العربي المعاصر، فكانت الخطوة التي هشّمت أنف الفحل العربي على حدّ تعبير عبد الله الغذامي.

غير أنّ هناك شاعرا آخر لا يقلّ جرأة عن نازك الملائكة حاول منافستها في هذه الريادة، ألا وهو بدر شاكر السيّاب*

السيّاب والتجربة الشعرية :

لقد أصدر السيّاب عام 1947 ديوان "أزهار ذابلة" وفيه قصيدة جدّة بعنوان (هل كان حبّا)، ومن المحتمل أن يكون الشاعر قد كتب قصيدته قبل أشهر من طبع الديوان على الأقل، وهذا يعني أنّ تاريخ كتابة قصيدة السيّاب سابق لقصيدة نازك الملائكة.

لذلك نقول ما المقياس إذن؟ هل يمكن أن يكون تاريخ النشر أو تاريخ كتابة القصيدة؟ ومادام تاريخ الكتابة يمكن أن يدخل فيه عنصر الإحتمال فلا نستطيع أن نأخذ بالمقياس الأول.

وليبدو أن محاولتي الشاعرين - وإن كانت نازك أسبق بالنشر - كانتا متقاربتين في الفترة الزمنية، ولعلّ ذلك يرجع إلى أن كلاّ منهما كان يقرأ الشعر الأنجليزي خاصة للشاعر توماس إليوت وقصيدته الشهيرة أرض اليباب

لكنّ الملاحظ أن تجربة السيّاب الأولى، لم تنشق عن الشكل القديم، إلاّ

* بدر شاكر السيّاب شاعر عراقي (1926 - 1964). يعدّ ظاهرة فريدة في شعرنا المعاصر خاصة في عمليّة الخلق الشعري والتغيير المتجدّد من خلال كونه الشعري الذي أثّر في الثقافة العربية، أهم دواوينه أساطير وأنشودة المطر ومن أشهر قصائده: حفّار القبور، الموسى الحمياء، الأسلحة والأطفال.